الطّبيعة و التّلوث (المَذاقات الفلسفيّة)©بيت الفلسفة
ذ.م.م. جميع الحقوق محفوظة 2022

تأليف: Brigitte Labbé • Michel Puech
رسومات: Jacques Azam
ترجمة: باسل بديع الزّين
مراجعة: مُشير باسيل عون
الإخراج الداخلي: موزه المزروعي

رقم إذن الطباعة
MF-02- 8798412

الترقيم الدولي ISBN
9789948809142

التصنيف الموضوعي
- فلسفة أطفال

La nature et la pollution (Les goûters philo)
©Éditions Milan, 2005

Author: Brigitte Labbé • Michel Puech
Illustration: Jacques Azam
Translation: Bassel Badihi Al Zein
Review : Mouchir Basil Aoun
Editing: Mozah Almazrouei

Print permission number
MF-02- 8798412

ISBN
9789948809142

Objective classification
-Children's philosophy

الطّبيعة
و
التّلوّث

تأليف: Brigitte Labbé • Michel Puech

رسومات: Jacques Azam

ترجمة: باسل بديع الزّين

مراجعة: مُشير باسيل عون

بيت الفلسفة
Philosophy house

الفهرس

عُطَلٌ مُتعثّرة 7
نعم، يا لها من متعة 8
ماتت قطّة الجيران 10
حزب دِيَان 12
دورة مارغريت 14
جيلبر، مُخرِّب الدّورات 15
أسرع، أعلى، أبعد، أقوى 17
مصانع الفضلات 18
يُمكنك فعل ذلك بطريقة أخرى 19
كوكب واحد وبلدان كثيرة 20
تشرنوبيل 22
استثارة المخاطر 23
عينا أناييس Anais العسليّتان 24
تعويذة أبراكادبرا Abracadabra! 25
الحقّ في المعرفة 26
والحقّ في اتّخاذ القرار 26
شريحةُ لحمٍ نيء بالخردل والبصل Tartar، درّاجة، كهرباء نوويّة؟ 27
الحصان تورنادو: هل هو أداة أو صديق؟ 28
تبليط الشواطئ 29
أسنانٌ بيض مثل الجبل الأبيض 31
غداء أوليفيه 33
كلّ هذا لم يجعل لعابنا يسيل! 34
يجب أن نُصبِح مُتحضِّرين في التّعامل مع الطّبيعة 35
أنشطة 39

عُطَلٌ مُتعثّرة

كان سمير وسمر يذهبان دائمًا في العُطَلِ إلى الجبل، لكن في العام الماضي، بعد انتهاء الجولة العاشرة من رحلة في أعالي الجبال استمرّت خمس ساعات، تَذَمَّرا تذمّرًا مزعجًا حتّى إنّ والديهما قرّرا قضاء أُسبوعين على شاطئ البحر في هذا العام.

ذات ليلة، قبل عشرة أيّام من الانطلاق، كان والدهما يُشاهد الأخبار على التّلفاز. سمع سمير وسمر ووالدتهما صرخة عالية. هرعوا إلى غرفة الجلوس.

«ماذا يحدث؟ سألت الأمّ بخشية.

- ضاعت علينا العطلة. إنّها كارثة، أجاب الأب.
- ماذا؟ أفلن نذهب إلى العطلة بعد اليوم؟ صرخت سَمَر. لكن لماذا لا تُريد أن تذهب؟

- تعرَّضت ناقلةُ نفطٍ لحادثٍ قبالة الشّاطئ الذي كان علينا أن نقصده. ستُصبِحُ المياه سوداء خلال بضعة أيّام، وسوف يُغطّي القطرانُ الرّمل. سنحتاج شهورًا كثيرة قبل تنظيف هذا كلّه.

- تَسرّبٌ نفطيّ في المكان عينه الذي كان علينا أن نقصده! لا أُصدّق ذلك. اشتكت الأمّ.

- لكن ما معنى تسرّب نفطيّ؟ سأل سمير، وقد اعتراه القلق من رؤية والديه في وضعيّة كارثيّة.

يتسرّب النّفط إلى البحر، عوضًا عن أن يبقى في داخل خزّانات السّفن. يطفو على وجه الماء، وينتشر على الصّخور والشّواطئ. سمير وسمر لا يعلمان بعد أنّ هناك ما هو أسوأ من عطلتهم المتعثّرة: سوف يتسبّب هذا الحادث في موت آلاف الأسماك، والنّوارس، وزمّج الماء، ونجوم البحر، وسرطانات البحر، وبلح البحر...

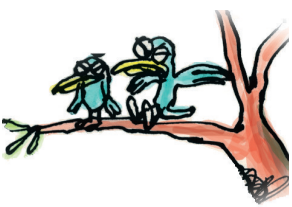

نعم، يا لها من متعة

"أبي، هل بوسعك أن تأخذني إلى ملعب كرة القدم؟ فالطّقس حارّ جدًّا، ولا أستطيع المشي. طلب روبَن إلى والده.

- أنت تُبالغ كثيرًا، لا تحتاج، في أقصى جهدك، أكثر من ربع ساعة سيرًا على قدميك.

- لكنّي أحمل في حقيبتي اليوم كلّ ملابس

الفريق، ولهذا السّبب هي ثقيلة جدًّا. لا نحتاج إلى أكثر من دقيقتين في السيّارة.

- حسنًا، لكن بصراحة أنت كسول."

انطلقت السيّارة. بإمكان روبن أن يقول شكرًا لكلّ ناقلات النّفط التي تَجوب المحيطات. فمن دونها، لم يكن البنزين ليتوفَّر ويجعل السيّارة تسير. من الواضح أنّ هذه النّاقلات خطرٌ على المحيطات ... نعم، لكن يا لها من سعادة يجدها في الذّهاب إلى الملعب من دون تعب وبذل جهد!

ملأت شارلين Charlène غسّالة الصّحون، ووضعت في داخلها قرصَ التّنظيف، وشغّلت البرنامج، وذهبت لتقرأ في غرفتها في الوقت الذي تجري فيه عمليّة الغسل وحدها.

خلف غسّالة الصّحون، يوجد أنبوب، لم تَره شارلين، ومن خلال هذا الأنبوب تذهب كمّيّات كبيرة من الماء نحو الأنهار والبحر. إنّه ماء مليء بمنتجات كيميائيّة تنطوي عليها أقراص التّنظيف ...

نعم، لكن يا لها من متعة تجدها في عدم قيامها بغسل الصّحون!

أخرج مارك النّقانق وأضلاع اللّحم من الثّلّاجة، في الوقت الذي كانت لولا Lola تُشعل المشواة. عندما اشتعل الفحم جيّدًا، وضعت النّقانق وأضلاع اللّحم على المشواة، فوق الفحم. فاحت رائحة شهيّة في الحديقة.

في الوقت الذي كان فيه مارك ولولا يستمتعان بوجبة غذائهما، تصاعد دخانُ غاز خطير من المشواة.

نعم، لكن يا لها من متعة يوفّرها تذوّق هذه الوجبة في الحديقة، مع رقائق البطاطس، والصودا الباردة!

ماتت قطّة الجيران

يعشق شادي أن يجلس وراء مقود سيّارة والديه، ويتظاهر بأنّه يقود.

في ذلك اليوم، عندما رَكِب شادي السيّارة، أدرك أنّ المفاتيح موجودة فيها. ليس ثمّة خطر، فالمرآب (الكاراج) مُقفَلٌ دائمًا.

"أرغب في تشغيل المحرِّك كي أسمع صوته، هذا ما كان يجول في فكر شادي. إذا لم ألمس جهاز تغيير السّرعة، فلن يكون هناك خطر، ولا يُمكن السيّارة أن تتحرّك."

تردّد، لكنّه لم يستطع أن يُقاوم.

اشتغل المحرِّك من المحاولة الأولى. تحقّق من هذا الأمر.

"شادي، البيتزا على الطّاولة!" صاحت والدته من المطبخ.

اندفع شادي، وأقفل وراءه باب المرآب. لكنّه لم ينتبه إلى أمرين اثنين:

نسيَ أن يُطفئ المحرِّك، وفي الوقت الذي انشغل فيه باللّعب، تسلّلت القطّة العجوز التي كانت تتسكع دائمًا لديه، قطّة الجيران، تسلّلت إلى المرآب. بضع ساعات لاحقًا، عندما فتحت والدته باب المرآب من أجل الذّهاب إلى التّسوّق، لم تكن السيّارة لتتحرّك، لكنّها وجدت القطّة ميتة وأقدامها الأربع مرفوعة في الهواء.

لم تُدْهَسِ القطّةُ. لكن لمّا كان المرآبُ مقفلًا، لا يدخله أيّ هواء، تنشقّت الهرّة الغاز الذي خرج من عادم السيّارة. هذه الغازات مميتة. غير معقول! من أجل استبدال التّنقّل، اخترعَ الإنسانُ آلة تعمل على إطلاق الغازات المميتة في الهواء. نعلم أنّه حيث تشتدّ حركة السّير، يُعاني النّاس أمراضًا في الجهاز التّنفسيّ، مثل الرّبو، والتهابات الشّعب الهوائيّة. ومع ذلك، لا يتوجّب علينا أن نسير مسافة مئة كيلومتر على أقدامنا لرؤية صديق، في حين نستطيع ركوب سيّارة، والجلوس فيها

بشكل مريح، والانطلاق ساعة نشاء، والذّهاب حيث نريد، واختبار شعور السّرعة، هذا كلّه يبدو أهمّ من نظافة الهواء. بطبيعة الحال، يرغب العالَم بأسره في سيّارات لا تلوّث الجوّ كثيرًا. لكنّ النّاس لا يبدؤون التّفكير في كيفيّة الحدّ من تلويث كوكبهم إلّا عندما يفوزون برفاهيّتهم، ومتعتهم.

حزب دِيَان

قرّرت ديان أن تُنشئ حزبًا سيّاسيًّا جديدًا. وجدت اسمًا مناسبًا له. إنّه حزب صِفر تلوّث. انتسب إليه عشرة من رفقائها، وأَمِلَت في أن تُقنِع كلّ المدرسة، والأساتذة بآرائها. لهذا السّبب قرّرت أن تنظّم هذا المساء اجتماعًا لكي تعرض برنامجها.

- اركبوا الدرّاجات، أو الـ"سكوتر"، لكن لا تقبلوا الصّعود إلّا في السيّارات الكهربائيّة.
- ارفضوا أكياس البلاستيك في المتاجر.
- اجمعوا براز الكلاب من الشّارع.
- اغسلوا الصّحون يدويًّا باستخدام أقلّ قدر ممكن من مسحوق الغسيل.

لا تشتروا إلّا الدّفاتر المصنوعة من الورق الذي جرى تدويره، ولا تُغلّفوا الكتب إلّا بالورق عينه.

- لا تأكلوا إلّا الأطعمة التي تحمل علامة الحرص

على الطّبيعة (طعام بيولوجيّ).

في القاعة، صفّق لها الجميع. نهض أحد رفقائها وطلب الإذن بالكلام.

- "كيف تجرِئين على تسمية حزبك: صفر تلوّث، انطلاقًا من برنامج كهذا؟
- هذا هُراء! أنا أُريد أن أقول لكم ماذا ينبغي لنا أن نفعل، وكيف يجدر بنا أن نعيش من دون أن نُلوِّث الطّبيعة."

نهض الصبيّ، وهو على عنفٍ شديد، وكتب على اللّوح:

- لا تلبسوا إلّا الثّياب القطنيّة التي حيكت حياكة يدويّة، واغسلوا ملابسكم يدويًّا.
- ارموا كلّ الألعاب التي تعمل بالبطاريّات.
- لا تركبوا الطّائرة أبدًا.
- تخلّوا عن الكهرباء، والغاز، والبرّاد، والثلّاجة، لتستبدلوا الشّمعة بالكهرباء.
- ارفضوا الذّهاب إلى المستشفى، وارفضوا تناول الأدوية، وموجات الرّاديو التي تُرسِل أشعّة ضارّة.

كان من المستحيل إيقافه عن الكلام! وقف الجميع، حاولت ديان استعادة الهدوء، إذ أوشك الجميع أن يتعاركوا.

"ولكنّه يريد لنا أن نعود إلى زمن الكهوف!" صاح شخص

ما من داخل القاعة.

من أجل حلّ مشكلات التّلوّث، يقترح هذا الصبيّ إزالة الحضارة التي كوّنها الإنسان منذ آلاف السّنين.

دورة مارغريت

ترعى البقرة مارغريت العشب، وتتبرّز في كلّ يوم. يختلط روثها الكبير الحجم بالأرض، ويُصبِح سمادًا يسمح للعشب بأن ينمو. هكذا تستطيع مارغريت أن تستمرّ في الرّعي لأنّ العشب ينمو مرّة أخرى، وتتبرّز من جديد، والعشب ينمو مُجدّدًا، وتتبرّز من جديد، وهكذا دواليك إلى أن تموت مارغريت نتيجة تقدّمها في السنّ.

ندور في حلقة! عشب – طعام مارغريت – روث – سماد – عشب ... ندور في حلقة، وهذا أمر مميَّز، إذ ستكون هناك أبقار على الدّوام، لأنّها تضع العجول، وسيكون هناك عشب أيضًا. هذا ما نُسمّيه بالدّورة. دورة طبيعيّة،

لأنّ هذه الدّورة لا تعمل إلّا وفقًا للأشياء الطّبيعيّة: الأبقار، والعشب، والماء، والشّمس، والهواء.

يملك روجه عشر بقرات من مثل مارغريت. يتركها ترعى في مَرْجِه، وفي المساء، يحلبها ويبيع حليبها. في بعض الأحيان، يقتل بقرة لكي يحصل على اللّحم، لكنّه لا يُكثر من فعلته هذه حتّى يتسنّى للبقرات أن تضع عجولها.

انخرط روجه في الدّورة الطّبيعيّة، واستفاد منها في الحصول على الحليب واللّحم. وهو أيضًا يجعل الدّورة تسير على ما يُرام: لذا يحتفظ بالتّبن لكي يُطعم الأبقار في الشّتاء، ويُغيّر المرج، ويضع السّماد في الحقول لكي يعود كلّ شيء فينمو نموًّا أفضل.

جيلبر، مُخرِّب الدّورات

روجه رجل عجوز، ولذلك قرَّر بيع مزرعته. اشتراها جيلبر. وجد أنّ الأبقار لا تُنتج ما يكفي من الحليب ومن اللّحم، وأنّ الحقل الذي ترعى فيه يُمكنه أن يُنتج بطاطس أكثر من العشب. وعليه، اشترى جيلبرت أكياس أغذية للأبقار. أغذية تتناولها بمتعة، وتجعل وزنها يزيد بسرعة كبيرة. حرث الحقل

لكي يزرع البطاطس، ورأى أنّه لو أضاف سمادًا كيميائيًّا فإنّ البطاطس تنمو أسرع، وتكون حبّاتها أكبر. أنتج جيلبر كميّة حليب تفوق عشرة أضعاف الكميّة التي أنتجها روجر. كما أنتج كميّة لحوم تفوق خمسة عشر ضعفًا الكميّة التي أنتجها روجر، وحصد مئات الكيلوغرامات من البطاطس. في بضع سنوات، حصلت أشياء غريبة في مزرعته: ماتت بقرتان في الشّهر الأخير وهما تتلوّيان أرضًا من الألم. لم يفهم الطّبيب البيطريّ حقيقة ما يجري. علاوة على ذلك وُجدت عشرات الأسماك ميتة وطافية في النّهر الواقع خلف المزرعة، ولم يعد الحقل يُنتج سوى حبّات بطاطس صغيرة. بعد التّقصّي والاستطلاع، تبيّن، بما لا يضع مجالًا للشكّ، أنّ الغذاء الجديد الذي تناولته الأبقار أصابها بالمرض، والسّماد الكيميائيّ الذي استخدم للأرض تسرّب إلى النّهر، وتسبّب في تسميم الأسماك، أمّا أرض الحقل فأُنْهِكَت بفعل إجبارها على الإنتاج.

طالما أخذ النّاس من الطّبيعة ما يحتاجون إليه، وهذا أمر طبيعيّ: الأخشاب لبناء منازلهم، وليتدفّؤوا، وليصنعوا الأدوات، والحجارة من أجل شقّ الطّرقات وتعبيدها، والماء ليسقوا مزروعاتهم...

لكن في بعض الأحيان، يُفرِط النّاس في الأخذ، ويُفرطون في الرّمي، ويقطعون دورات الطّبيعة. عوضًا عن الانخراط في الدّورات الطّبيعيّة التي تسير جيّدًا، فإنّهم يكسرونها. تمامًا كما فعل جيلبرت.

أسرع، أعلى، أبعد، أقوى ...

الحقّ أنّ جيلبر، عوضًا عن الاعتناء بالطّبيعة، قام باستغلالها، لكي يحصل على أقصى ما يُمكن أن تُنتجه. بعض الرّياضيّين يقومون بأمر مماثل مع أجسادهم. فمن أجل الفوز بأكبر عدد من الميداليّات، يُلوّثون أجسادهم عن طريق تناول منشّطات كيميائيّة، ومخدّرات يبتلعونها أو يحقنون أنفسهم بها لكي يركضوا أو يسبحوا بشكل أسرع، أو ليقفزوا أعلى، أو ليضغطوا على دوّاسة الدرّاجة بشكل أقوى، أو ليرموا الأوزان إلى أبعد مدى ممكن ... إنّهم يستغلّون جسدهم إلى أقصى حدّ ممكن، حتّى ينتهي بهم الأمر إلى أن يُمزّقوا عضلاتهم، ويخلعوا أوتارهم، ويُدمّروا رُكَبهم، وظهورهم ... الواقع أنّهم يتعاطون المنشّطات إلى أن يُصابوا بمرض خطير، وفي بعض الأحيان يموتون. يا لهول قدرتنا على استغلال استغلالًا يبلغ بنا أن نجعلها تُصاب بمرض خطير، وتموت؟

عندما نقطع الأشجار من دون أن نزرع مكانها، تختفي الغابات، وتنزلق الأرض، ولا تعود السّماء تُمطر، فتزحف الصّحراء علينا ...

عندما نخترع مزيلات الرّوائح التي تُرسل في الفضاء بعض الغازات، تُثقَبُ طبقة الأوزون التي تحمي الأرض من

الشّمس، وتسمح بمرور الأشعّة التي تُلحق ضررًا بالبشرة والعيون.

عندما نصطاد الكثير من الأسماك، نحرم بعض الأجناس من فرصة التّكاثر، لذا تختفي.

يطرح كلّ ما تقدّم المشكلة الآتية: إنّ استغلال الطّبيعة إلى حدّ تدمير دوراتها، هو عينه التّلوّث.

مصانع الفضلات

غالبًا ما ننسى أنّ إنتاج النّفايات وامتصاصها نشاط طبيعيّ بالنّسبة إلى كلّ الكائنات الحيّة: فكلّ الأوكسيجين الذي نتنفّسه يأتي من النّباتات، بخاصّة مخلّفات الطّحالب الموجودة في المحيط منذ مليارات السّنين. علاوة على ذلك، تُعيد النّباتات استخدام مخلّفات الحيوانات والنّاس من ثاني أُكسيد الكربون، قل كذلك عن براز الحيوانات التي تُغذّي النّباتات ... كلّ الكائنات الحيّة هي مصانع للنّفايات. لكنّها مصانع نظيفة: فهي لا ترمي إلّا الأشياء التي يُمكن الكائنات الأخرى أن تمتصّها، وتعرف أن تمتصّ ما ترميه الكائنات الأخرى. لكنّنا نُصادف مشكلات التّلوّث عندما يُنتج النّشاط الإنسانيّ نفايات لا يُمكن الطبيعة أن تمتصّها.

ليس التّلوّث مسألة نفايات، ولا يرتبط بما نرميه. التّلوّث هو ما نرميه في الطّبيعة رميًا سيّئًا، رميًا مُفرِطًا.

يُمكنك فعل ذلك بطريقة أخرى

"أُنظر في أسفل كلّ صفحات كتابي، ثمّة رسمٌ صغير، ما هو؟" سألت ليا صديقتها كلير، وهي تُريها رسمًا صغيرًا.

"إنّها شجرة، وبإمكاننا أن نرى جذورها تحت الجذع، أجابت كلير.

نعم، شكرًا. أنا لستُ غبيّة، لكنّي أُريد أن أعرف لماذا يضعون هذا الرّسم في أسفل كلّ صفحة؟

لستُ أدري. بالتّأكيد لكي يجعلوا الصّفحات أجمل.

بصراحة، لا أرى فائدة من هذه الرّسومات. إنّه كتاب بوليسيّ، ولا علاقة له بالشّجر".

صحيح أنّ الرّسم الصّغير هذا لا تربطه أيّ علاقة بقصّة هذا الكتاب، لكنّه مع ذلك مهمّ جدًّا! فهو يُريد القول إنّه لم

تُقطع أيّ شجرة من أجل صناعة هذا الكتاب. يُريد القول إنّ هذا الكتاب صُنِع بطريقة أخرى: فعوضًا عن قطع الأشجار من أجل صناعة أوراق جديدة، وعوضًا عن حرق الكتب القديمة وإرسال الغاز السّامّ في الهواء، تستردّ المطابع أوراق الكتب القديمة من أجل تصنيع الورق ثانية. استخدمنا الفضلات، أي الكتب التي كنّا عازمين على رميها من أجل صناعة كتب جديدة. هذه طريقة تقنيّة من بين مئات الطّرق التي يُمكن أن يبتكرها الإنسان للتصرّف تصرّفًا مختلفًا: استعادة الفضلات وإعادة استخدامها. هكذا يستطيع الإنسان أن يُعيد بناء الدّورات، من خلال إعادة تدوير فضلاته.

كوكب واحد وبلدان كثيرة

بعد التقصّي، نعلم الآن أنّ عُطَلَ سمير وسَمر تعثّرت بسبب سفينة أتت من بلد بعيدٍ جدًّا عن هذا الشّاطئ الذي أصبح أَسْودَ. كي لا يُنفق مالكُ السّفينة المزيد من المال، لم يحرص على صيانتها بشكل جيّد. ولأنّ السّفينة كانت مُحمَّلة كثيرًا، غَرِقَت.

"هذا مُقَزِّز، قالت سمر. كان ينبغي للبلد الذي أتت منه هذه السّفينة أن يمنعها من المغادرة. ليست غلطتنا، لكنّ الكارثة حلّت بنا."

هذا صحيح، كان بإمكان بلد آخر أن يُراقب السّفينة بشكل أفضل، وأن يُجبر مالكها على إصلاحها أو استبدالها. لكنّ القوانين والأنظمة ليست هي نفسها في كلّ مكان.

انتهى الصّيف، والبرد قادم. سيسي الإوَزّة البريّة تترك الشّمال من أجل الذّهاب إلى أفريقيا. إنّها المرّة الأولى التي تطير فيها من دون خوف. فباسيفيو، البلد الّذي تقصده، صوّتَ على قانون يمنع الصيّادين من إطلاق النّار على الإوَزّ عندما تُهاجر إلى أفريقيا. بعد بضع ساعات من الطّيَران الهادئ، ذُعِرَت سيسي ذُعرًا تامًّا! إنّها طلقات ناريّة تُطلَق في كلّ اتّجاه، وهذا ما جعل سيسي تتمايل كالمجنونة بجناحَيها يمنة ويسرة بين الرّصاصات. لكن منذ متى ما عاد النّاس يحترمون القوانين؟ لم تعلم سيسي أنّها عَبَرَت باسيفيو منذ ساعتين، وأنّها الآن تطير في أجواء بلد آخر، بلد لا تنصّ قوانينه على حماية الإوزّ البريّة في أثناء هجرتها.

الحيوانات لا تعرف الحدود بين الدّول، فهي تملك كوكبًا واحدًا. الطّبيعة لا تملك إلّا بلدًا واحدًا: كوكب الأرض. البشر وحدهم من قسَّم كوكبنا دولًا، عشراتٍ عشرات. يبدو من الصّعب حماية الطّبيعة، والقضاء على التّلوّث إذا لم تتّفق هذه الدّول على هذا الأمر.

تشرنوبيل

في ٢٦ نيسان من العام ١٩٨٦، حصل انفجار في مركز نوويّ في تشرنوبيل، وهي مدينة تقع في أوكرانيا. الواقع أنّ هذا المصنع كان يُولِّد الكهرباء. مباشرة بعد الانفجار تصاعد الغبار الإشعاعيّ من المصنع. أرسل هذا الغبار أشعّة غير مرئيّة لكنّها قادرة على إماتة كلّ الكائنات الحيّة. لم ينجُ أيّ شخص من الّذين كانوا داخل المصنع.

في الخارج، لم يمت النّاس مباشرة، لكنّهم يُصابون بمرض السّرطان الذي لا يترك لهم أيّ فرصة للنّجاة والعيش. الأشجار، والنّباتات، والحيوانات هي أيضًا تُصاب بالتّلوّث. ولا يُمكن زراعة الأرض قبل مرور زمنٍ طويل.

أضف إلى ذلك أنّ العناصر الإشعاعيّة الصّغيرة لم تبقَ جميعًا في هذه المنطقة، بل صعدت في الهواء، وإلى الغيوم. وعندما عصفت الرّيح، حملت الغيوم إلى أوروبا، وآسيا. أرسلت هذه الغيوم إشعاعاتها لكنّها كانت أضعف من تلك المنتشرة في أُوكرانيا. لكن على بُعد آلاف الكيلومترات من مكان الانفجار، وجدنا آثارها في الأرض، وفي الخضروات، والفواكه. كان من الخطر تناولها. تضاعفت بعض أنواع مرض السّرطان لدى البشر، حتّى البلدان البعيدة عن تشرنوبيل.

ليست كارثةُ تشرنوبيل فِيلمَ رعبٍ: إنّها حقيقيّة. وهي ليست كارثة خاصّة بأوكرانيا، بل كارثة عالميّة. لا حدود للتّلوّث.

إذا لم يتّفق الرّجال والنّساء في كلّ البلدان على قوانين

تحمي الطّبيعة والنّاس، وعلى قواعد أمان تضبط عمل المصانع، وعلى الطّريقة التي يزرعون بها الأرض، ويصطادون الأسماك، والطّيور، فمن المستحيل أن يحلّوا مشكلة التّلوّث.

استثارة المخاطر

عندما اكتشف الإنسان النّار، وأحرق الخشب، لوّث الهواء باثًّا الغازات في الجوّ.

عندما اكتشف الإنسان الطّاقة النّوويّة، تسبّب في مآسٍ من مثل تشرنوبيل. وهو باكتشافه النّار أيضًا، تسبّب في الحرائق، وباختراعه السّكّين، اخترع التّقطيع أيضًا. وباختراعه السّفن، اكتشف هلاكها وغرقها ...

منذ بداية الحضارة، استولدت اكتشافات الإنسان مخاطر جديدة، ومصادر تلويث جديدة.

عينا أنايِيس Anaïs العسليّتان

وُلِدت أنايِيس للتوّ. عيناها عسليّتان، وبشرتها بيضاء، وشعرها أسود. ولديها – وهذا ليس غريبًا – ساقانِ، ويدان، وذراعان، وعينان ...

عندما التقى حيوان والدها المنويّ بويضةَ والدتها، لم تكن أنايِيس تُشبه أيًّا من هذا كلّه! ولكن كان هذا كلّه في البرنامج، في الخلايا الصّغيرة التي تتكاثر لكي تُكوِّن جنينًا، ومن ثمّ رضيعًا. تُوجد في الخلايا الصّغيرة هذه جينات كثيرة. كان متوقّعًا، من خلال هذه الجينات، أن تكون عينا أنايِيس عسليّتين أكثر منهما زرقاوَين، وبشرتها بيضاء أكثر منها سوداء ... تملك كلّ الكائنات الحيّة جينات. فالجينات التي تنطوي عليها حبّة البازلّاء مسؤولة عن لونها، وشكلها، ومذاقها ...

إنّ الابتكار الأخير المذهل الذي اعتزم العلماء القيام به هو تغيير جينات الكائنات الحيّة، من أجل تغيير ما هو متوقّع.

تعويذة أبراكادبرا Abracadabra!

نُعدِّل جينات النّباتات من أجل صنع نباتات تكون قادرة على إنتاج ... البلاستيك.

نُعدِّل جينات حبوب الذّرة لكي يكون بوسع الذّرة عندما تنمو أن تصنع في داخلها ... سُمًّا يمنع الحشرات من أكلها.

هذا ليس سحرًا! هذه النّباتات موجودة فعلًا، وكذلك الذّرة. ذلك بأنّنا عَدّلنا جيناتها، وأطلقنا عليها العمليّة " كائنات مُعَدَّلة جينيًّا ".

سوف تحدث أشياء رائعة: فالإنسان سيُعدِّل الجينات من أجل حماية الحيوات، وتفادي الأمراض، والتّشوّهات الخلقيّة، والإعاقات. ويذهب بعض الباحثين إلى القول إنّ الكائنات المعدَّلة جينيًّا بتحسينها الزّراعة سوف تحلّ مشكلة الجوع في العالَم.

لكن ماذا سيحلّ بالحشرات عندما ستأكل النّباتات التي تصنع البلاستيك؟ وماذا سيحصل عندما تقوم هذه الحشرات بلدغ الإنسان؟ وماذا سيحصل عندما يأكل النّاس أو الحيوانات الذّرة التي تقتل الحشرات؟

ربّما لن يحصل شيء. لكن ينبغي لنا أن نحترس. اعتقدنا أيضًا أنّه لن يحدث شيء إذا أطعمنا الأبقار العلف الحيوانيّ الذي تسبّب في إصابتها "بمرض جنون البقر". ومع ذلك، حصل ما لا يُمكن توقّعه، وتبيّن أنّ هذا المرض مميتٌ للإنسان.

الحقّ في المعرفة ...

من المستحيل القول: "يجب أن نوقف كلّ شيء، فالوضع خطير." المهم أن نفهم المخاطر، وأن نتفحّص آثارها، وألّا نُخبّئها.

من واجب قادة السّياسة أن يُطلعونا على ما يجري، ويجب علينا أن نعرف هل يزرع المزارعون مزروعات معدَّلة جينيًّا، وهل تتناول الأبقار جثث الخنازير والدّجاج. ينبغي لنا أن نعلم، ما الّذي ينتشر في الهواء، وماذا يُوجد في المصانع الكيميائيّة، وهل ستُحلِّق غيوم تشرنوبيل في سماء بلادنا...

والحقّ في اتّخاذ القرار

من ثمّ، عندما تُفْهَم المخاطر، يُتّخذ القّرار إمّا بقبولها أو رفضها. لكن، من يُقرِّر؟ الباحثون، والعلماء أم رجال السّياسة ونساؤها؟ كلّا. كلّ سكّان الكوكب يملكون الحقّ في إعطاء رأيهم في ما يأكلون، ويشربون، ويتنفّسون. وينبغي للقادة أيضًا أن يسألونا: هل نوافق على تناول الطّعام المعدَّل جينيًّا، وهل نقبل أن تأتي الكهرباء من المفاعلات النّوويّة، وهل نُريد ركوب الدرّاجة أو السيّارة ...

شريحةُ لحمٍ نيء بالخردل والبصل Tartar، درّاجة، كهرباء نوويّة؟

قالت زووي Zoé:" لا أتوقّف عن تناول اللّحوم، أعشق شرائح اللّحم بالخردل، والبصل".

قرّر توم:"بِتُّ أستخدم درّاجتي في كلّ يوم، ولم أعد أشتري الدّجاجات التي تجري تربيتها في أقفاص".

عندما جرى إعلام زووي وتوم، أمكنهما أن يختارا. إنّها الخيارات التي يُمكن أيّ فرد أن يختارها، إنّها خيارات فرديّة. لكن ليس بمقدور زووي وتوم أن يُقرّرا تغيير وسيلة إنتاج الكهرباء، ولا وضع ملصقات "معدّل جينيًّا" أو "غير معدّل جينيًّا" على الأطعمة، ولا توسيع المسارات الخاصّة بالدرّاجات ... هذه الخيارات جماعيّة وليست فرديّة.

ينبغي، إذًا، إجراء نقاشات من أجل اتّخاذ القرارات.

لا نتوقّف عن النّقاش: هل ينبغي انتخاب رئيس الجمهوريّة لمدّة خمس أو سبع سنوات؟ هل يجب أن نذهب إلى المدرسة السّبت أو الأربعاء؟ هل ينبغي السّماح لمحبّي الزلّاجات التزلّج على الأرصفة؟ إنّها نقاشات ديمقراطيّة: يسأل المسؤولون النّاس عن رأيهم في هذه الأمور. لكن هل يطلبون رأينا في الأمور الأكثر أهميّة؟

إنّ الحقّ في اتّخاذ قرارات تتعلّق بمستقبل الطّبيعة، والكوكب، والكائنات الحيّة، هو أيضًا مسألة ديمقراطيّة، بل مسألة من أهمّ المسائل الدّيمقراطيّة.

الحصان تورنادو: هل هو أداة أو صديق؟

يملك السيّد بيك Pik حصانًا. يستخدمه في حِراثة الأرض، وفي جرّ عربته للذّهاب إلى السّوق. الحقّ أنّه يُنظّفه باستمرار، ويتركه يستريح، ويُطعمه جيّدًا، ويُداعبه، ويُعطيه من وقت إلى آخر قطعة سكّر ... إذا مَرِض الحصان أو كَسَر ساقًا من سيقانه، ستقع مأساة، لأنّ السيّد بيك يحتاجه في عمله. لكنّه لا يعتني به اعتناءً فائقًا من أجل هذا السّبب وحسب: فهو يُحبّ حصانه، ومُرتبط به بشدّة. علاوة على ذلك أطلق عليه اسمَ تورنادو.

الواقع أنّ حصان السيّد بيك هو الأداة التي يستخدمها في عمله. لكنّ تورنادو ليس أداة وحسب، أي ليس مطرقة أو جرّارًا: يشعر السيّد بيك بعاطفة قويّة تجاهه، يشعر بأنّه مرتبط به ارتباطَ الإنسان بصديقه.

الطّبيعة مفيدة للإنسان، وهو يحتاج إليها لكي يعيش، تمامًا كما يحتاج السيّد بيك إلى حصانه. لكنّنا نشعر أنّ هناك علاقة أقوى تربط الإنسان بالطّبيعة، علاقة شبيهة بتلك التي تجمع السيّد بيك وتورنادو.

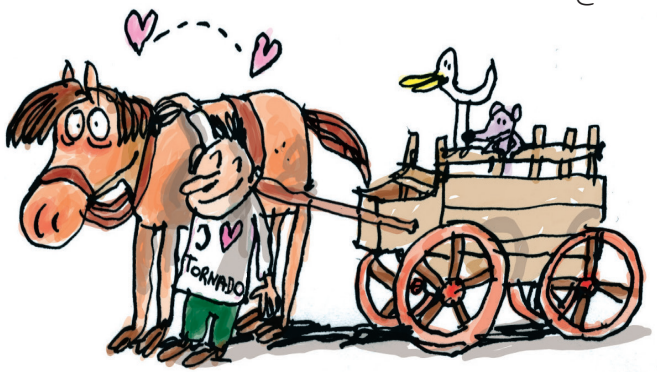

تبليط الشواطئ

من المعروف أنّ الرّمال المتناثرة مزعجة. ونتعرّض للتّوبيخ عندما نضعها على منشفة والدَينا. قل كذلك على الرّمل الذي يَخِز السّاقين عندما تهبّ عاصفة، والرّمل الذي يلتصق بملابس السّباحة، والرّمل الذي يُسبّب أذى للعينين. وعليه، تفاديًا للإزعاج الذي قد يُسبّبه الرّمل للسيّاح، قام رئيس بلديّة Azur – les – Flots بتبليط الشّواطئ. كان فخورًا جدًّا بابتكاره، وأعاد تسمية مدينته: Carrelage – les – Flots.

بعد بضع سنوات، نُكِبَت المدينة، فقد هُجِرت الشّواطئ، والفنادق فرغت من روّادها، والمتاجر والمطاعم أُغلِقَت. لم يفهم رئيس البلديّة ماذا حدث، فقد فعل كلّ شيء من أجل تسهيل حياة السيّاح.

مع ذلك، لا يوجد هنا تسرّب نفطيّ، وما من أحد يستطيع أن يتّهم رئيس البلديّة بتلويث الطّبيعة. لكنّنا نشعر بالفرق بين السَّير بقدمين عاريتين على الرّمل، وقدمين عاريتين على البلاط.

قل كذلك عن السّعادة التي نجدها في التّزلّج على الثّلج، ومشاهدة نجوم اللّيل، والارتماء في أحضان الأمواج، وقطف التّوت، وتسلّق الأشجار، والاحتكاك بالطّبيعة، ورؤيتها، وإحساسها. بل والتكلّم معها!

تُثير الطّبيعةُ الإنسانَ انفعالاتٍ، ومشاعرَ فرح، وإحساساتٍ، تُشبه تلك التي تمنحنا إيّاها بسمات الّذين نُحبّهم، وقبلاتهم، ومعانقاتهم.

كلّ ما يُفسِد هذه الألفة بين الإنسان والطّبيعة يُدعى تلوّثًا.

أسنانٌ بيض مثل الجبل الأبيض

أُود وجان - لُك على بعد ٣٠٠ متر من أعلى قمّة في فرنسا، قمّة الجبل الأبيض Mont - Blanc. إنّه لأمر رائع! كان جان – لُك يودّ أن يأخذ استراحة لتناول وجبة السّندويش السّريعة قبل الإقدام على عمليّة التّسلّق الأخير. لكنّه لم يجد مكانًا لكي يجلس، ويستمتع بالمنظر الخلّاب.

"كلّا، ليس هنا، قالت له أُود، أنت ترى جيّدًا أنّ لائحة الإعلانات الخاصّة بزيت Cuitout تحجب الجبل بأكمله من الجهة المقابلة.

- نعم، لكنّ لافتة الملهى الليليّ في مدينة شاموني المضاءة تبرق في عينيّ، أجاب جان لوك.

- إذًا، إذا اقتربت قليلًا لجهة اليمين، فسوف ترى الوادي محصورًا بين الملصق الإعلانيّ الخاصّ بمسحوق الغسيل: "كلّ شيء نقيّ"، والملصق الإعلانيّ الخاصّ بمعجون الأسنان "بريق الجبل الأبيض".

- اتبعني، وجدتُ الحلّ. إذا ظللنا واقِفَين، واقتربنا قليلًا لجهة اليسار، فلن نرى إلّا سِدادة زجاجة الكوكا كولا العملاقة، وهذا منظر أقلّ إزعاجًا من غيره".

: صودا كولا/ قمّة/ كل شيء أبيض/ صودا/

من لديه رغبة في تسلّق جبل مليء بلوحات إعلانيّة كبيرة؟ مع ذلك، لا تلوّث هذه اللّوحات الهواء، ولا الماء، ولا الأزهار، ولا تهجم على الحيوانات. لكنّها تُلوّث شيئًا آخر: إنّها تُلوّث المشاعر التي نحسّها عندما نتنزّه لرؤية المناظر الطبيعيّة الخلّابة.

إذا اخترعنا سيّارات لا ينبعث منها شيء، سيّارات صامتة تمامًا، فهل كنّا لنرغب في أن نرى المزيد من السيّارات، والمزيد من مواقف السيّارات الضّخمة في الغابات، وعلى تخوم الشّواطئ؟

غداء أوليفيه

استغرق تناول غداء أوليفيه أربع عشرة ثانية. مقبّلات: حبّة خضراء من أجل الفيتامينات، الوجبة الرّئيسة: حبّة حمراء من أجل البروتينات. التّحلية: حبّة صفراء، إذ ينبغي لأوليفيه أن يذهب إلى نادي التّمارين البدنيّة بعد الظّهر، ويلزمه تناول السكّر. " لا تنسَ أن تُحضر معك الحبّة ذات اللّون الورديّ من أجل وجبة العصر، فأنت بحاجة إلى المغذّيات الدّقيقة Oligo éléments-، وهذه الحبّة مليئة بها"، أوصته والدته.

هذا المساء عيد مولد شقيقته. اشترت والدته حبوبًا تحمل ألوانَ قوس قزح على شكل قلب من أجل الاحتفال بها. هذه الحبوب هي الأجمل، لكن لا يتمّ تناولها إلّا في ما نَدَر، لأنّها تنطوي على الكثير من الكافيين.

كلّ هذا لم يجعل لعابنا يسيل!

يُمكننا أن نتغذّى بواسطة حبوب مفيدة جدًّا للصحّة. كما يُمكننا تربية الدّجاج الذي لا طعم له في المصانع - السّجون. أو تكبير حبّات الفراولة التي لا نكهة لها تحت أنوار المصابيح عن طريق حقنها بالماء. سوف يقوم الاختصاصيّون بتجارب، وسوف يُثبتون أنّ هذا كلّه ليس خطرًا على الصحّة. وسيكون هذا الأمر صحيحًا من دون شكّ. شأنه في ذلك شأن المباني الكبيرة ذات الإسمنت الرّماديّ التي لا تتسبّب في أيّ تلوّث، والضّجيج الذي لا يُوسِّخ شيئًا، والرّوائح الكريهة التي لم تتسبّب في وفاة أيّ شخص.

لكنّ البشر ليسوا عبارة عن أجسامٍ فقط بحيث ينبغي الحفاظ على صحّتها. ثمّة أشياء أخرى كثيرة غير الصحّة: المتعة، واللّعب، واللُّطف، والجمال ... وعليه، إنّ تناول الأطعمة التي لا مذاق لها، وعدم رؤية السّماء، وعدم سماع صوت الماء يسيل، والعصافير تزقزق، وعدم الإحساس برائحة الأزهار، هذا كلّه تلوّث. الحقّ أنّه ليس تلوّث الطّبيعة. إنّه تلوّث الحياة البشريّة نفسها.

يجب أن نُصبِح مُتحضِّرين في التّعامل مع الطّبيعة

كان الإنسانُ ساكنًا من سكّان الطّبيعة الآخرين، شأنه في ذلك شأن الحيوانات، والنّباتات، وسائر الكائنات الحيّة. كان جزءًا من الطّبيعة. كانت حياةُ النّاس صعبةً للغاية، لذلك كانوا يُناضلون من أجل البقاء، ويخشون الطّبيعة، وعواصفها، ولياليها المظلمة، وجفافها، وهزّاتها الأرضيّة ...

استطاع الإنسانُ، بفضل ذكائه، أن يخترع آلاف الأشياء التي سهَّلَت حياته. دجَّن الطّبيعة، تمامًا كما يجري ترويض حيوان وحشيّ.

لكنّه في أثناء بناء الحضارة، شعر بنفسه متفوّقًا على سائر الكائنات الحيّة. لذا راح يتعاطى مع الطّبيعة بوصفها خزّانًا ضخمًا يستخدم منه ما يشاء، وبقدر ما يشاء، أو بوصفها سلّة مهملات عملاقة يرمي فيها كلّ ما يشاء، أو بوصفها غرضًا يمكن التّلاعب به في كلّ الاتّجاهات.

وبعد، نسيَ الإنسان أنّه كائن من كائنات الطّبيعة التي تربط بعضها علاقة وثيقة ببعضها الآخر.

ينبغي لنا، لكي نستمرّ في العيش على هذه الأرض، أن نربط حضارتنا مُجدَّدًا بدورات الطّبيعة. لا يتعلّق الأمر هنا البتّة بالعودة إلى الطّبيعة الوحشيّة أو البَريّة! يجب علينا أن نعلم كيف نبقى مُتحضِّرين، لكي نعيش عيشًا أفضل، ونُصبِح مُتحضّرين في التّعامل مع الطّبيعة، أي أن نتحلّى بالمسؤوليّة في تعاطينا معها، وأن نحترمها، ونوليها اهتمامنا.

انتهى

من بعدكم!

أنشطة

في بعض الأحيان، نلتقي بعض الأصدقاء (صديقان أو ثلاثة أصدقاء)، لكي نُشاهد فيلمًا، أو نلعب لعبة، أو لِنُعِدَّ عَرْضًا تقديميًّا، أو ببساطة لنستمع إلى الموسيقى.

أو أنّنا نجتمع هنا، معًا، من دون القيام بأمرٍ مُحَدَّد، ويحدث أن يدور الحوار حول موضوع يهمّ الجميع.

وعليه، ننخرط من دون أن نُدرِك في نقاشات كبيرة حول الأهل، والأساتذة، والأصدقاء، والحبّ، والحرب، والعار، والظّلم ... نُصلِح العالَم!

وفي المساء، عندما نجد أنفسنا بمفردنا، نُعيد التّفكير في كلّ هذه النّقاشات.

إنّه لأمر جيّد حقًّا أن نتمكّن من الحديث عن كلّ هذا، وإن كُنّا نغضب في بعض الأحيان لأنّنا لا نتّفق تمامًا مع ما يقوله الآخرون، أو لأنّ هناك أشخاصًا يُريدون التكلّم طَوَالَ الوقت، ولا يستمعون إلى أيّ شيء.

أنشطة

لكن إذا كان ما ذكرناه من شأن الأحاديث أمرًا جيّدًا، فَلِمَ لا نُنَظِّم نقاشات، وحوارات،حول موضوع نختاره معًا؟ في البيت، أو لدى الأصدقاء، أو – ولِمَ لا - في المدرسة؟

إليكم إذًا بعض الإرشادات والحِيَل التي من شأنها إنجاح "تذوّق فلسفيّ"حقيقيّ:

1 – ينبغي ألّا يزيد عدد المشاركين عن عشرة أشخاص.

2 – بطبيعة الحال يجب إعداد وجبة جيّدة، من أجل تناول الطّعام والشّراب!

3 – من الأفضل أن يتمّ الجلوس أرضًا ... يُمكننا أن نجلس كما نُريد، وأن نتكلّم بحُريّة! كما يُمكننا أن نضع الوجبة في وسط الدّائرة ...

أنشطة

4 – يضطّلع شخص ما بمهمّة طرح عدد من الموضوعات. إلّا إذا اتّفق الجميع، من قبل، على التحدّث عن شيء مُحدَّد.

5 – كلّ شخص يُفكّر من أجل اختيار الموضوع الّذي يُفضّله، من دون أن يقول شيئًا للآخرين كي لا يؤثّر فيهم.

6 – عندما يختار الجميع، نُصوِّت للموضوع الذي نرغب في التّحدّث عنه. ملاحظة: صوت واحد لكلّ شخص.

7 – يفوز الموضوع الّذي يحصل على أكبر عددٍ من الأصوات: هذا ما سنتكلّم عنه اليوم.

أمّا الإرشادات والحيَل الأخرى، لكي ننجح في سماع بعضنا بعضًا، ولكي لا نُهاجم بعضنا بعضًا، ولكي نقبل آراء غيرنا المختلفة، ولكي ندع جميع المشاركين يتكلّمون، فسوف تجدونها بأنفسكم سريعًا!

أنشطة

لنبدأ! امنحوا أنفسكم ساعة. لكن بعد كلّ شيء، بإمكانكم أيضًا أن تقضوا النّهار بأكمله هنا

عصائر الفواكه والحلويات موجودة هنا، والموضوع أيضًا: اخترتم اليوم "الحياة والموت". إذا تعثّر البدء بالحوار – يحدث هذا الأمر أحيانًا، إذ ننظر جميعًا إلى بعضنا بعضًا، من دون أن يعرف أيّ منّا ماذا يقول – فإليكم بعض الطّرق من أجل الشّروع في النّقاش:

1 – هل نحن منزعجون في حياتنا منَ التّلوّث، كما هي حال سمير وسمر في الصّفحتين 7 و 8؟

2 – إذا أسّسنا حزبًا سيّاسيًّا، على غرار الحزب الذي أنشأته دِيَان في الصفحتين 13 و 14، فما هو البرنامج الذي نقترحه؟

3 – الصّفحة 33: يتّخذ توم وزووي خيارات في حياتهما اليوميّة. ونحن، هل اتّخذنا خيارات؟

4 – هل انطوت قصّة جان – لُك وأُود (ص38) حقًّا على مبالغة؟

أنشطة

- نساعد بعضنا، يُمكننا التنقُّل في الكتاب على هذا النّحو: يقرأ أحدٌ ما مقطعًا بصوتٍ مرتفع، أو قصّة من القصص القصيرة. من شأن هذا الأمر أن يجعلنا نُفكّر في قصص حصلت لنا، أو حصلت لآخرين، نرويها، ونسعى معًا، إلى فهم مغزاها.

- يُمكننا أيضًا أن نطرح أسئلة على أنفسنا، وعلى الآخرين. ويُمكننا أن نبحث معًا عن إجابات ... أو أن نُدرِك أنّنا لن نعثر في بعض الأحيان على إجابة: فخلف كلّ سؤال يختبئ سؤال آخر، وسؤال آخر أيضًا، وهكذا دواليك ...

إليكم مجموعة من الأسئلة التي يحتاج تناولها إلى ساعات!

"التلوّث ليس مُجرَّد أوراق متّسخة أو براز كلب ... فما هو تحديدًا؟"، "هل يُبير التلوّث قلقنا؟"، "هل نخشى أن ينتهي الأمر بالبشر بأن يدمّروا الكرة الأرضيّة؟"، "ما الّذي يمنع النّاس من الاعتناء بالطّبيعة بشكل أفضل؟"، "هل نُحبِّذ العودة إلى العصور الحجريّة؟"، "لكن ماذا يُمكننا أن نفعل، يوميًّا، من أجل مكافحة التلوّث؟"